الأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني
1876 – 1908

المدرس الدكتور
مشعـــل مفـــرح ظاهـــــر
جامعة البصرة - كليـــــــة الآداب- قسم التاريخ

ABSTRACT

The Ottaman state failed to base its foundatian on religion and thes it was farced to depend on the ethnic group for that purpose .

That kind of feeling prevailed as a result of the Armenian question which caused much worry to the international diplomacy since Berlin carference in 1878 .

That feeling also dominated because of the Armenian areas .

This caused cantinous objection and demand for constitutional reforms in the ottoman rule . This , in turn , obliged the sultan to promise of introducing these reforms according to Article 61 of Berlin Treaty .

But insteal of inhoduuing the refew, sultan Abd Al . Hameed massacred the Arumenians in the period of 1894-1896 without paying attention to his promises in Berlin ceference .

He looked at the Armeniaes as other Bulgars who should be illuminated and for that purpose he formed AL-Hawidi kuights by which he wauted to punish the disobediemts and to suppress the mutineers as he pretnded .

This , the Arwemian question chauged after Berlin conference from being an internal Ottoman problem to an international question . this led to intervention of the European states in the internal affairs of Ottoman states .

Therefore, the Armenan question was a direct reason of collapse of the Ottoman state .

يرجع اصل الارمن الى الجنس الاري ، وهم بذلك من الاقوام الهندواوربية [1] . وقد هاجرت جموعهم من اواسط اسيا في الالف الثالث قبل الميلاد الى سواحل البحر الاسود ليأسسوا بعد ذلك دولتهم ، التي امتدت من بحيرة وان حتى بحر قزوين [2] . والذي نادى بها الارمن وطالبوا باعادتها (ارمينيا القديمة الام). والتي غطت مساحة كبيرة من الارض .اذ تحدها اسيا الصغرى من الغرب وسلسلة جبال القوقاز من الشمال ، والبحر الاسود من الشمال الغربي وبحر قزوين من الشمال الشرقي ، وايران من الجنوب الشرقي ، وقد شكلت المرتفعات فيها ، اكثر من نصف مساحتها الكلية حتى وصفها لنا الرحالة والمؤرخون بأنها (الجزيرة الجبلية) [3] .

تنبع من سفوح تلك المرتفعات عدة انهار . ويعد نهر اراكس Arax اهمها واطولها على حد سواء اذ يبدأ من جبال الاناضول الشرقية ويصب في بحر قزوين . الا ان معظم بقية الانهار فيها غير صالحة للملاحة. وقد نجم عن تلك المرتفعات العديد من المضايق والشلالات والبحيرات والاودية الضيقة . ويسود ارمينيا مناخ قاري ، ففي القمم يكون الشتاء قارساً وفي المنخفضات يكون الصيف حاراً [4] .

ادى الموقع الجغرافي المتميز لارمينيا دوراً مهماً في تشكيل مجرى الاحداث التاريخية فيها . فمنذ نشوئها في القرن السادس قبل الميلاد تحمل سكانها الويلات في الدفاع عنها .اذ تتوسط امبراطوريات قوية ومتنافسة في ذلك الوقت . كما انها تمتد على خطوط انتشار القبائل القادمة من اواسط اسيا مما جعل موقعها مطمعاً للشعوب والقبائل . فقد غزاها الاشوريون والميديون ومن ثم الفرس والاغريق والرومان واخيراً الدول الاسلامية المتعاقبة . وقد كانت الغزوات متكررة حتى تسببت في انهيار دولتهم بعد عشرين قرناً من تأسيسها [5] .

وعلى الرغم من تلك الصعوبات التي واجهها الارمن الا انهم تمكنوا في عهد الملك ديكران الكبير 95 – 55 ق. م. Dickran the Great من مواجهة الرومان وصد غزواتهم ووصلت امبراطوريتهم اوج قوتها في ذلك العهد .

وقد شكلت حلقة تجارية وسط بين قارتي اسيا واوربا [6] .

ازدهرت ارمينيا اقتصادياً وثقافياً ودينياً . ولاسيما بعد اعتناق الملك ديرتاد الثالث Dertad III 286 – 300 م المسيحية . اذ اصبحت ملاذاً امناً لرجال المسيحية الاوائل المضطهدين من قبل الدولة الرومانية . فنقل هؤلاء معهم الثقافة الشرقية والغربية لارمينيا على حد سواء وقد ابتكر الارمن ابجدية خاصة بهم عام 406 م وهي ممزوجة بمؤثرات اغريقية وفارسية مع اضافات ابتكرها القديس ميسروب ماشتوتس Maysrob. Mashtots فاصبحت تتكون الابجدية الارمينية من 38 حرف . وانتشرت في جميع انحاء ارمينيا بفضل ما طبع من كتب ونشرات دينية تم توزيعها في المناسبات [7] .

وتعد الترجمة الارمينية للكتاب المقدس من اعظم ما ترجم للغة الارمينية حتى سميت الترجمة بـ (ملكة الترجمات) [8] .

تمتع الارمن بالعديد من الامتيازات والحقوق خلال الحكم العثماني لمناطقهم ، كان من اهمها تعيين المطران بروس Pross بطريركاً للارمن ، وذلك بفرمان من السلطان محمد الفاتح 1451 – 1481 حين تم فتح القسطنطينية عام 1453م . بل ان السلطان نقل العديد من العائلات الارمينية من طرابزون وغيرها من المناطق الى العاصمة اسطنبول واشراكهم في العديد من الوظائف الادارية [9]. وساد على نهج السلطان محمد الفاتح بقية السلاطين من بني عثمان في التسامح الديني وبخاصة مع الطائفة الارمينية ، اذ سمح لهم عام 1848 م بانشاء مطبعة خاصة بهم عرفت باسم (مطبعة الارمن) اصدرت العديد من الكتب والنشرات الدينية .

وفي عام 1856 م سمح لهم ببناء كنيسة في القدس عرفت ليومنا هذا باسم كنيسة (اوجاع العذراء للارمن الارثودكس) [10] .

توالت على الارمن الامتيازات من السلاطين العثمانيين المسلمين اكثر من غيرهم من (الملل العثمانية) * . اذ وضع لهم دستوراً خاصاً بهم عام 1860م مستوحى من الدستور الفرنسي لعام 1848م . وصادقت عليه الحكومة العثمانية في 27 تشرين الاول 1862م [11] . وبموجبة وزعت السلطات بين المجلس النيابي والمجلس التنفيذي الذين يترأسهما البطريرك نفسه في الاستانة [12] .

وقد اشاد السلاطين العثمانيون بهم وبإخلاصهم في اكثر من مناسبة حتى اطلقوا عليهم اسم " الملة الصادقة " نظراً لما قدموه من خدمات جليلة للدولة العثمانية ، حتى ان السلطان عبد الحميد الثاني(1876 – 1908م) قد اشاد بهم في احدى خطبه الرسمية بقوله " ... لقد خدموا حضارتنا وحافظوا على دولتنا ، وظهر فيهم عثمانيون ممتازون بخدماتهم وحسن صداقتهم " [13] . وتقلد العديد منهم المناصب الحكومية الرفيعة المستوى كوزارة الخارجية ، ووزارة الخزانة الخاصة ، والعديد من الحكام والولاة والنواب [14] . فضلاً عن كونهم اصحاب رؤوس الاموال ومديري الاقتصاد العثماني من الاستانة آنذاك [15] .

على الرغم من اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش عام 1876 م ، والذي عرف بالتسامح اتجاه الملل العثمانية . الا ان بعض زعماء الارمن المقيمين في الخارج وبأوربا على وجه الخصوص ، حاولوا استغلال ضعف الدولة العثمانية لاحياء فكرة اقامة وطنهم القومي على غرار ما فعله البلغاريون في البلقان ، وغيرهم من القوميات التي نالت استقلالها من الدولة العثمانية [16] . فبدأت العلاقات بين الحكومة العثمانية والارمن بالتدهور . اذ بدأ الارمن يظهرون تذمرهم من جباة الضرائب في بداية الامر . ثم بدأت الشكاوي تأخذ شكلها الرسمي . اذ قدموا التماساً للسلطان اشتكوا فيه من اساءة الاكراد المسلمين لهم [17] . على الرغم من انهم عاشوا معاً منذ مئات السنين وكانوا على وفاق تام . ولم يسجل التاريخ أي حادثة تجاوز بين الطرفين . ولكن اتخذوا الوجود الكردي المسلم الى جانبهم كذريعة لبداية المشكلة . وبالفعل تجاوز الارمن بعد ذلك السلطات العثمانية في شكواهم . اذ رفعوا مظالمهم الى وزارة الخارجية البريطانية عن طريق المدارس التبشيرية الامريكية في الاستانة ، وكانت تلك المظالم مكتوبة بخط البطريرك الارمني مجرد تيش خريمان كدعم لصحتها [18] .

واثناء عقد مؤتمر اسطنبول في نهاية كانون الاول 1876م ومطلع كانون الثاني 1877م الذي عقد لمناقشة عدد من القضايا الخاصة بالبلقان . الا ان الساسة العثمانيين تفاجئوا بتصريحات وزير خارجية بريطانيا اللورد سالسبوري Salisbury Lord * " بان الارمن امة مضطهدة في الدولة العثمانية ، وانهم في قمع مستمر " [19] .

ولم يكن لتلك التصريحات أي اهمية في ذلك الوقت . وذلك لانشغال المجتمعين في قضايا اكثر اهمية من قضايا الارمن .

وتعد الحرب العثمانية – الروسية 1877 – 1878م هي البداية الرسمية لانطلاق

القضية الارمنية دولياً . اذ جندت روسيا ارمن القفقاس وادخلتهم من ضمن قواتها فضلاً عن تجنيد العديد منهم داخل الاراضي العثمانية وتسليحهم لارهاب وقتل سكان المناطق الحدودية . لاسيما الاسلامية منها . وبالفعل حققت تلك

الاعمال نجاحاً كان له الاثر في انتصار الجيوش الروسية خلال تلك الحرب [20] . وعندما وصلت القوات الروسية مشارف الاستانة في كانون الثاني 1878م . لم يستطع الارمن اخفاء فرحتهم وتأييدهم للجيش الروسي . اذ سرعان ما شكلوا وفداً برئاسة البطريرك الارمني نارسيس فارجبديان Narsiese Var Jabedian لتهنئة قائد القوات الروسية الغراندوق نيكولاي Granduck. Nikuly . بالنصر ومناشدته بان تتضمن معاهدة الصلح نصاً خاصاً بالارمن واصلاح الولايات الارمنية [21] . وقد لبى القائد الروسي المطلب الارمني ، وادرجت مطالبهم (المادة السادسة عشر) من معاهدة سان ستيفانو San Stivano 1878م التي نصت على الاصلاحات وسلامة الارمن من اعتداءات الاكراد الشراكسة ، وان لا ينسحب الجيش الروسي من المناطق التي احتلها في ارمينيا حتى تقوم الحكومة العثمانية بتنفيذ تلك الاصلاحات [22] ووقعت الدولة العثمانية على المعاهدة التي كان من اهم موادها اعلان قيام بلغاريا الكبرى على حساب الدولة العثمانية مما اثار مخاوف الدول الكبرى ، اذ رأت بريطانيا ان الامتداد الروسي نحو الدولة العثمانية مخيف ويهدد مصالحها ونفوذها بالخطر ، ولا سيما بعد احتلالها ارضروم وقارص ومعظم ارمينيا مما يهدد مصالح انكلترا في الشرق [23] .

وفي تلك الاثناء تدخل المستشار الالماني بسمارك Besmark ليقوم بدور رجل السلام بدعوته لعقد مؤتمر عالمي في برلين لحل المشاكل دون اقتتال . وبالفعل اجتمعت 13 دولة اوربية بما فيها روسيا القيصرية والدولة العثمانية [24] . فشكل الارمن من جانبهم وفداً لحضور المؤتمر . الا ان الحكومة الالمانية منعتهم من حضور جلساته [25] . وعلى الرغم من ذلك استطاع الوفد الارمني الذي يترأسه خرميان هايرك Kh. Hireck من عقد عدة لقاءات مثمرة مع الساسة الأوربيين خارج المؤتمر نتج عنها بان المؤتمر نص في المادة الواحدة والستين " ... يتعهد الباب العالي بتحقيق الاصلاحات التي تقتضيها ظروف الاقاليم التي يقطنها الارمن وضمان سلامتهم ، وستقدم حكومة الاستانة تقارير دورية الى الدول المعنية بالمراقبة للاصلاحات " [26] .

وانقسم الاتفاق الاوربي مرة اخرى بخصوص مسألة الاصلاحات العثمانية في ارمينيا

. فالاصلاح بنظر البريطانيين يعني اقامة شرطة ومحاكم تتكون جميعها من المسيحين المحليين ويرأسها ممثلون الدول الاوربية العظمى تنتهي باقامة حكم ذاتي . اما روسيا فقد نظرت بارتياب شديد للحماس الذي ناصرت به بريطانيا الاصلاحات الارمنية فالبريطانيون يرغبون في رؤية امارة ارمينية مستقلة متاخمة للحدود الروسية حيث تصبح حاجزاً مثل بلغاريا امام المد الروسي نحو البحر المتوسط . ولكن روسيا ليس لديها الرغبة في اقامة بلغاريا اخرى لان الحكم الذاتي للامارة الارمنية سيضيف الى روسيا اخطار جديدة من ناحية ايقاظ الرغبة لدى ارمن روسيا للانضمام للامارة الارمنية وترددت فرنسا في مضايقة حليفتها بريطانيا فاقترحت ادارة الشؤون المالية من الاقاليم المضطربة . اما المانيا فلقد اظهرت الود للسلطان العثماني اذ ابلغته " ... انه ليس من الضروري ادخال اصلاحات جديدة الى الامبراطورية . فالتشريعات والقوانين القائمة كافية لاحتياجات البلد ولا ينقصها الا ان تنفذ بدقة " [27] .

لم يغفر العثمانيون للارمن تعاونهم مع اعداء الدولة ، وقررت الحكومة العثمانية التخلص منهم . فوجدت في الاكراد والشراكسة، ومن ابعد من مسلمي البلقان قسراً من ديارهم اليد الضاربة لتأديب الارمن المتمردين فشكل منهم عام 1891 م الفرسان الحميدية (حميدية يلدرى) [28] .

وكانت حجة السلطان عبد الحميد الثاني في تشكيل تلك القوات بأنها وجدت لتأديب العصاة والمتمردين وقاطعي الطريق . الا انه بات واضحاً بان حكومة الاستانة بدأت تتخلى عن مواد معاهدة برلين 1878 م في تنفيذ الاصلاحات لاسيما بعد اصدارها اوامر سرية بتوطين القبائل الكردية في المناطق الارمنيةمما دفع الارمن الى مقاومةالتوطين [29] .

بدأت المواجهات تشتد بين الطرفين وتصبح دموية في كثير من مناطق شرق الاناضول ، مما اجبر الارمن على تشكيل عدد من الجمعيات والاحزاب السياسية كان من ابرزها حزب " الهنشاك " الذي اسس في جنيف عام 1887 م . واتخذ من النشاط السلمي منهاجاً لحل القضية الارمنية ، في حين اتخذ حزب " الطاشناق " أي الاتحاد الثوري الارمني الذي اسس في تفليس عام 1890 م الوسائل الثورية من اجل الحصول على استقلال ارمينيا [30] .

شددت الحكومة العثمانية كثيراً في اجراءاتها اتجاه تمردات المناطق الارمنية ، وكانت قمعية في بعض المناطق كتفليس وطرابزون واخذت بين الحين والاخر تنشر لوائح باسماء الارمن المطلوبين للسلطات العثمانية . ومن ضمن اجراءاتها ايضاً اسكنت ما يقارب

خمسمائة شاب كردي مسلح في حي اسكيودار الارمني عام 1895 [31] . مما دفع بالدول الغربية وبخاصة بريطانيا الى تقديم طلب للحكومة العثمانية تعيين لجنة للتحقيق في المسألة الارمنية . كما جرى تضمين مذكرة مرفقة للبرنامج وهي عبارة عن الوسائل التي يتوجب على حكومة الاستانة تنفيذها ومما جاء فيها [32] :

1 – العفو عن الارمن الصادرة بحقهم احكام مختلفة ولاسباب سياسية .
2 – عودة المهجرين والمنفيين الى ديارهم .
3 – تفقد حالة السجون والمساجين .
4 – انشاء لجنة دائمة لمراقبة الاصلاحات يكون مقرها الاستانة .

وعلى الرغم من تلك الاجراءات ، لم تهدأ الاوضاع . بل ازدادت سوءً بعد ان انتشرت المجازر الثأرية بين الطرفين ، وكانت اشهرها مجزرة اورفة في 28 كانون الاول 1895م . حين جمع الملا سعيد احمد وهو احد المشايخ المتطرفين ومن وجهاء مدينة اورفه المسلمين ، وحرضهم على إبادة الارمن بحجة تمردهم على السلطنة . ولكي يحفز الحضور على القتل . امر باحضار شاب ارمني وقتله بيده امامهم [33].

فكان عمله إيذاناً ببدء مجزرة اقترفها الفرسان الحميدية التي دخلت يوم 29 من الشهر ذاته الكنيسة الارمنية وقتلت من فيها ، ويذكر المؤرخون بان عدد القتلى بلغ 1800 بين رجل وامرأة وطفل [34] .

حاولت بعد تلك المجازر الاحزاب الارمنية من لفت انتباه المجتمع الدولي لقضيتهم من جديد ، وذلك بانتهاج العمل المسلح . فتم اقتحام البنك العثماني في 26 آب 1896 من قبل مجموعة من الشبان الارمن وكان البنك يقع في وسط الاستانة بحي غلطه سراي . وتم زرع اكثر من 700 قنبلة داخل المبنى لنسفه في حال محاولة السلطات الامنية العثمانية اقتحامه . واحتجز المسلحون الكثير من الزبائن والموظفين الاجانب اذ يعد هذا البنك اعظم مؤسسة مالية في الشرق ، فضلاً عن ان غالبية موظفيه من الأوربيين [35] .

وعلى ضوء تلك الازمة الطارئة عقد السفراء الغربيون اجتماعاً مغلقاً لايجاد الحلول الكفيلة لانهائها وباسرع وقت ممكن . فبدأت المفاوضات بين مندوب السفراء وهو رئيس البنك البريطاني السير ادكار فينيست Adkar Vinisit والارمن . وتوصلوا اخيراً الى اعطاء الارمن وعداً باجراء تحقيق دولي عاجل بمجزرة اورفه . الا ان الارمن حددوا مطالبهم بثلاث نقاط [36] "

1 – تعيين مندوب سامي على المناطق الارمنية من الدول الكبرى .

2 – يعين المندوب الولاة والمتصرفين والقائمقامين على ان يصادق عليهم السلطان العثماني .
3 – تنظيم تشكيلات الجيش والشرطة تحت قيادة ضباط أوربيين .

انتهت الازمة بفضل جهود آدكار . وتم اطلاق سراح الرهائن بعد 13 ساعة من اقتحام البنك . وغادر المسلحون الارمن تحت الحماية الدولية الى مدينة مرسيليا الفرنسية على ظهر سفينة آدكار الشخصية [37] .

لم تمر السلطات العثمانية تلك العملية مرور السلام للارمن اذ تم قتل سبعة الاف ارمني كردة فعل بالشارع العثماني الا انه بالحقيقة كانت المجزرة مدعومة من قبل البوليس العثماني واستخباراته [38] .

وخلال تلك الاحداث حاول ثيودور هرتزل Tuodor Hirtizel مؤسس الصهيونية استغلال الموقف ، اذ اجتمع بنزار بك سفير الدولة العثمانية في لندن نهاية عام 1896 م وعرض خدماته وانه باستطاعته حشد كل جهود الصحافة اليهودية في مواجهة المشاعر السيئة التي خلقتها المذابح الارمنية في الغرب ناحية السلطان العثماني، واكد ايضاً انه يستطيع ان يؤدي دور الوسيط بين الاستانة واللجان الثورية الارمنية في عقد هدنة.وبالفعل التقى بحزب الهنشاك الا ان نزار بك اوقف مساعيه لان الارمن كانوا يخشون من دافع هرتزل ، اذ يعتقد الارمن بان هرتزل والعثمانيين متفقون ضدهم ، وان اليهود استطاعوا اقناع دول اوربا بتأجيل الاصلاحات فهاجموا اليهود في اكثر من مكان [39] ، الا ان الحقيقة قد غابت عن اذهانهم في النوايا الحقيقية خلف مساعي هرتزل لحل الازمة الارمنية وهي كسب ود السلطان عبد الحميد الثاني ورضاه ومن ثم موافقته بالتنازل عن ارض فلسطين وبناء وطن قومي لليهود فيها . اذ سرعان ما انعكست العلاقة ما بين هرتزل والعثمانيين بعد رفض السلطان مطالب الصهاينة .

حاولت الاحزاب الارمنية من جانبها تصعيد العمليات المسلحة فاختارت يوم الاحتفال بذكرى العشرين لجلوس السلطان عبد الحميد على العرش لضرب السرايا [40] . الا ان المخابرات الروسية ابلغت السلطات العثمانية عن تفاصيل العملية قبل تنفيذها مما سهل على العثمانيين احباطها بسهولة والقاء القبض على منفذيها [41] . واعتقد ان الموقف الروسي المتناقض هو اصرارها على عدم اعطاء الارمن وطن قومي حتى ولو داخل الاراضي العثمانية فانه سيؤثر على ولاء ارمن روسيا القيصرية ومطالبهم في الاستقلال وهذا ما اكده وزير الخارجية الروسي انذاك أ. ب لوبانوف روستو

" A. P. Lopanov Rostvesky
... ان روسيا لن تسمح باقامة بلغاريا جديدة . ونحن بحاجة الى ارمينيا من غير ارمن " [42] .

وفي 30 ايلول نظمت الجمعيات الارمنية مظاهرات سلمية في الاستانة وتحت حماية الجيش العثماني . الا ان احد المتظاهرين قام باطلاق النار على مجموعة الضباط المكلفين بحمايتهم وقتل احدهم . مما اجبر القوات العثمانية على مهاجمة المتظاهرين لالقاء القبض على

القاتل الا ان الامر انتهى بمجزرة جديدة امتدت لتشمل الاحياء الارمنية في الاستانة [43] .

بعد تلك المجازر هدأت الاوضاع نسبياً في المدن الارمنية حتى نهاية عام 1903م عندما تورط حزب الكاشناك بمجزرة ضد المسلمين في مناطق ساسون . مما دعا بالحكومة الى توجيه الفرسان الحميدية الى تلك المنطقة مدعومة ببعض الفرق العسكرية المدربة ، فتحولت مناطق ساسون خلال شهر الى مناطق منكوبة . ولم تتوقف ، فيها العمليات المسلحة الا بعد تدخل السفراء الاجانب وتوسطهم عند السلطان عبد الحميد الثاني [44] .

وفي مطلع عام 1905 خطط الحزب المذكور سلفاً لاغتيال السلطان العثماني . وحدد موعد تنفيذ العملية بعد ادائه صلاة الجمعة وذلك من خلال تفجير عربة مفخخة تكون موضوعة قريباً من موكبه ، وعلى الرغم من احكام الخطة الا انها فشلت بسبب تأخر السلطان بالخروج من الجامع ، في حين ذهب ضحية الانفجار اكثر من اربعين قتيلاً من الحاشية والمصلين . وجرح اكثر من 80 شخصاً [45] . وفي الحال استطاعت الاستخبارات العثمانية القاء القبض على منفذي العملية . الا ان السلطان اكتفى بنفيهم رغم مطالبة رجال الدولة باعدامهم [46] . وقد يكون القرار لتهدئة الاوضاع والمحافظة على استقرار الوضع الداخلي والتفرغ الى صد المؤامرات الخارجية والداخلية التي كانت اشد خطراً من الارمن التي نجحت اخيراً بعزله عن العرش سنة 1908 م [47] .

وعند استعراضنا لحجم الخسائر الارمنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1908 م نجد ان معظم كنائسهم دمرت وتحول الباقي الى مخازن لاعلاف الحيوانات حتى بلغ مجموعها 1740 كنيسة و 11 دير ، 5 مدارس لاهوتيه ، فضلاً عن ما دمر من مراكز ثقافية وانسانية ، اما الخسائر البشرية فلا تحصى لانها انتشرت على مساحة كبيرة جداً من الارض العثمانية [48] .

و يجب ان لا نحمل السلطات العثمانية وحدها المسؤولية التاريخية عن الاحداث المؤلمة للارمن فهم يتحملون جزءاً كبيراً منها . وذلك ان

الدولة العثمانية اتخذت تلك الاجراءات لحماية سيادة اراضيها ورعاياها في حين كان الارمن ينفذون ما تتطلبه مصالح الدول الاوربية ولاسيما روسيا وفرنسا وبريطانيا . وكانوا اداة الفوضى داخل المدن الارمنية [49] .

ومما يؤكد ذلك الدكتور الارمني الكسندر كيتشان Alxandar Kitchan في قوله " ... ان اعمال الارمن الوحشية تسببت في نفاذ صبر المسلمين ، وانهم كانوا العوبة بيد ساسة اوربا ، واداة تنفيذ مأربهم داخل الاستانة " ، كما ان هذا لا يعني بان جميع الاتراك العثمانيين او حتى الاكراد والشركس المسلمين قد اشتركوا في المجازر الارمنية [50] . اذ عارضت الطبقات العليا في المجتمع العثماني الاجراءات التعسفية ضد الارمن واحتج العديد منهم على تلك الممارسات ، وقد انقذ العديد منهم اصدقاءهم وجيرانهم من الارمن خلال سنوات المجازر . ومن اشهرهم المشير فؤاد باشا الشركسي الذى حمى جيرانه الارمن من القتل . فضلاً عن دور رجال الدين المسلمين الذين لعبوا دوراً كبيراً في ايقاف تلك المجازر [51] .

اما فيما يتعلق السلطان عبد الحميد الثاني فهو من ام ارمنية اسمها (جاندير) [52] فتلك العلاقة كانت كفيلة بمحبة السلطان لتلك الطائفة وهذا ما كان موجوداً فعلاً في بداية حكمه من علاقة طيبة بين الطرفين ويتضح ذلك من خلال خطب السلطان الرسمية في جميع المحافل . اما فيما يتعلق بالارمن فلم يكن جميعهم يؤيد فكرة الاستقلال والكفاح المسلح ، وفي مقدمتهم البطريرك عشيقان افندي الذي طالب الارمن بالولاء للدولة العثمانية دون سواها وان لا يذهبوا خلف الوعود الاوربية الكاذبة .

وفي الختام أثبتت الدراسة أن السياق التاريخي والظروف والملابسات التي أحاطت بالأرمن آنذاك حتمت على السلطان الاجراءات التي اتخذها بحق الأرمن من خلال الفرسان الحميدية مستغلاً التنافس العرقي بين الجانبين وهو ما درجت عليه معظم الدول الاستعمارية والدولة العثمانية ليس استثناء من ذلك بدليل مجازر البوسنة وأبناء القرم المسلمين . وان استخدام اساليب العنف كان محاولة يائسة للحفاظ على الوضع القانوني القائم الضعيف امام التحديات الداخلية والخارجية الكبيرة فالمذابح المطلقة العنان كانت محاولة للحفاظ على بنية الدولة التي كان يتوجب على الارمن البقاءفيها دون أي حق لمقاومة فساد الحكومة العثمانية الاانها تحولت مع مرور الوقت الى اداة لعمل ضد الاستخبارات الاجنبية الاستعمارية مما أثار ذلك حفيضه الكثير من الارمن انفسهم ضد المقاومة .

الهوامش :

1 – ظهرت دراسات حديثة يشير فيها علماء السلالات بان العنصر الارمني نتاج خليط اجناس متعددة تتكون من العنصر القوقازي – الامنيوي – الالبي – الديناري ، الشمالي وعناصر اخرى . للمزيد من المعلومات . انظر :
محمد رفعت الامام ، تاريخ الجالية الارمنية في مصر، القاهرة ، 1992، ص 25– 26 .

2 – اديب السيد ، ارمينية في التاريخ العربي ، حلب ، 1972 ، ص 30 .

3 – عرفت بلاد الارمن بعدة اسماء مثل اوراتو ، اورارات ، خلدي ، ارمنستيان . وقد ظهر اسم ارمينيا لاول مرة منقوشاً على صخرة في بلدة بيهستون الايرانية حوالي 521 ق. م ، أي في عهد الملك الفارسي داريوس الكبير 521 – 485 ق. م ، وقد كتبت هذه النقوش باللغات الفارسية والعيلامية ، والبابلية . انظر :
مروان المدور ، الارمن عبر التاريخ ، بيروت ، 1982 ، ص 371 .
4 – بول اميل ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت ، ب. ت ، ص 40 .
5 – يوسف ابراهيم الجهماني ، تركيا والارمن ، دمشق ، 2001 ، ص 9 – 10 .
6 – المدور ، المصدر السابق ، ص 372 .
7 – انتشرت العبادات الوثنية قبل المسيحية في ارمينيا مثل عبادة الشمس والقمر الاشورية الا ان المسيحية دخلتها قبل اوربا بما يقارب الثمانين عاماً ، وقد عرفت الكنيسة الارمنية رسمياً باسم (الكنيسة الارمنية الرسولية للارثودكس) والتي تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح عليه السلام ، وهي بصورة عامة تشترك مع الكنيسة الارثودكسية الشرقية في المذاهب العقائدية .
انظر : بول كينز ، المسيحية عبر العصور ، ترجمة دار نوبا ، القاهرة ، 1992 ، ص 53 – 56.
8 – المدور ، المصدر السابق ، ص 382 .
9 – Sir . Edward Geasy , History of the Ottoman Turks , London , 1876 , p. 86 .
10 – الجهماني ، المصدر السابق ، ص 17 .
* صنف السلطان محمد الفاتح رعاياه غير المسلمين تصنيفاً دينياً واطلق على كل طائفة اسم (ملة) وكان لكل ملة رئيس ديني يمارس سلطته في المسائل الدينية ، انظر :
هاملتون جب ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، ج 2 ، مصر ، 1990 ، ص ص 96 – 97 .
11 – وجيه كوثراني ، المسيحيون من نظام الملل الى الدولة المحدثة ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، بيروت ، العدد 32 ، حزيران ، 1982 ، ص 13

12 – اختص مجلس النواب بمهام الاشراف على المجلس العدلي والمجلس الروماني ومجلس المعارف ، اما المجلس التنفيذي فقد اوكلت اليه مهمة تنظيم الموازنة العامة في الاستانة للارمن . كما ان البطريركية العامة في الاستانة قد قسمت الى دواوين متعددة أي ما يشبه الوزارات . للمزيد من المعلومات انظر :
الجهماني ، المصدر السابق ، ص 20 .
13 – محمد حرب ، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، دمشق ، 1988 ، ص 62 .

14 – اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، الكويت ، 1986، ص 209 – 210 .
15 – المصدر نفسه ، ص 210 – 211 .
16 – حنا سعيد الحاج ، العلاقات الاسلامية الارمنية منذ الفتح العربي حتى اليوم ، بيروت ، 1996 ، ص 54 – 56 .
17 – Salahi Rawdam Sonyel , The Ottoman Armenian , London , 1987 . p. 41 .
18 – Ibid , p.42 .
19 - Ibid , p.42 – 43 .
20 – ك. ل. استارجيان ، تاريخ الامة الارمنية ، الموصل ، 1951 ، ص 276 .
21 – المصدر نفسه ، ص 277 .
22 – شادراش طوركيان ، القضية الارمنية والقانون الدولي ، ترجمة خالد الجبلي ، اللاذقية ، 1992 ، ص 24 .
23 – نور الدين حاطوم ، تاريخ القرن التاسع عشر في اوربه ، دمشق ، 1995 ، ص 333 .
24 – محمود علي عامر ، تاريخ الامبراطورية العثمانية ، دمشق ، 2004 ، ص 233 .
25 – محمد كمال الدسوقي الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، 1976 ، ص 298 .
26 – لنكه هارد ، تاريخ الاصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية ، ترجمة : محمود علي عامر ، دمشق ، 2008 ، ص 307 .
27 – ميسم كامل اوكي ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية ، ترجمة اسماعيل الصادق ، القاهرة ، 1992 ، ص 35 – 36 .
28 – المصدر نفسه ، ص 37 - 38 .
29 – Stand Ford Show , History of the Ottoman Empire and Modern Turkey. Vol 2, London ,1988 , P. 204 .
30 – اميل ، المصدر السابق ، ص 46 .
31 – صالح زهر الدين ، الارمن شعب وقضية ، ب.م ، 1988 ، ص 69 .

32 – استارجيان ، المصدر السابق ، ص 298 .
33 - زهر الدين ، المصدر السابق ، ص 70 - 71 .
34 – اميل ، المصدر السابق ، ص 47 – 48 .

35 - استارجيان ، المصدر السابق ، ص 299- 300 .
36 – Sonyel , op. Cit, P. 67 .
37 – Ibid , P. 68 .
38 – اليافي ، المصدر السابق ، ص 43 .
39 – Show , op. Cit , P. 205.

40 - استارجيان ، المصدر السابق ، ص 301 – 307 .
41 – الامير شكيب ارسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، دمشق ، 2001 ، ص 3016 .
42 – مقتبس من استارجيان ، المصدر السابق ، ص 308 - 311 .
43 – الجهماني ، المصدر السابق ، ص 27 .
44 – زاخوى ، المصدر السابق ، ص 87 .

45 – Sir Edwin Pear , Life of Abdul Hamid , London , 1917 , pp. 63 – 64 .

46 – نشرت احد مواقع الانترنت التحقيقات الخاصة بالبوليس العثماني في الحادثة . للمزيد من المعلومات انظر :
www . Trutheye. Com / news. View. 3237 .
47 – جون هاسلب ، السلطان الاحمر ، ترجمة فيليب عطا الله ، بيروت ، ب. ت ، ص ص 296 – 298 .
48 – الجهماني ، المصدر السابق ، ص ص 49 - 50 .
49 – ارسلان ، المصدر السابق ، ص ص 318 - 319 .
50 - المدور، المصدر السابق ، ص 390 .
51 – عامر ، الدولة العثمانية ، تاريخ ووثائق ، دمشق ، 2001 ، ص 210 .
52 – اليافي ، المصدر السابق ، ص 45 .

المصادر

المصادر العربيه

1. أرسلان،الامير ستكيب،تاريخ الدولة العثمانيه،دمشق،2001.
2. اميل،بول،تاريخ ارمنيه،ترجمه شكري علاوي،بيروت.
3. اوكي،مسيم كامل،السلطان عبد الحميد بين الصهيونيه العالميه والمشكله الفلسطينيه،ترجمه اسماعل الصادق،القاهرة،1988.
4. حاطوم،نورالدين،تاريخ القرن التاسع عشر في اوربه،دمشق،1995.
5. الجبلي،خالد،اللاذقيه،1992.
6. جب،هاملتون،المجتمع الاسلامي والغرب،ترجمه احمد عبدالرحيم مصطفى،مصر،1990.
7. الجهماني،يوسف ابراهيم،تركياوالارمن،دمشق، 2001.
8. الحاج،حنا سعيد،العلاقات الاسلاميه الارمنيه منذ الفتح العربي حتى اليوم،بيروت،1996.
9. حرب،محمد،مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني،دمشق،1988.
10. الدسوقي،محمد كمال،الدولةوالمسألة الشرقية،القاهرة،1976.
11. الدين،صالح زهر،الارمن شعب وقضية،ب.م،1988.
12. السيد،اديب،ارمينيه في التاريخ العربي،حلب،1972.
13. استارجيان،ك.ل،تاريخ الامه الارمنية،الموصل،1951.
14. عامر،محمود علي،تاريخ الامبراطورية العثمانيه،دمشق،2004.
15. علي،اورخان محمد،السلطان عبد الحميد الثاني،الكويت،1986.
16. كينز،بول،المسيحيه عبر العصور،ترجمه دار نوبا،لبقاهرة،1992.
17. محمود عامر،الدوله العثمانيه،تاريخ ووثائق،دمشق،2001.
18. المدور،مروان،الارمن عبر التاريخ،بيروت،1982.
19. هاسلب،جون،السلطان الاحمر،ترجمه فيلب عطاالله،بيروت.
20. هارد،لكنة،تاريخ الاصلاحات والتنظيمات في دوله العثمانية
21. ،ترجمه محمود علي عامر،دمشق،2008.
22. الامام،محمد رفعت،تاريخ الجاليهالارمنيه في مصر،القاهرة،1992.

المصادر الانكليزية:

1- Creasy,Edward Geasy,History of the ottoman turks,London,1876.

2- Sonyel,Salani Rawdam,The ottoman Armenian,London,198

3- Show,Stand Fors,History of the ottoman Empire and Modern Turksy,Vol.2,London,1988.

4- Pear,Sir Edwin Pear,life of Abdul Hamid,London,1917.

المجـــلات:

1. **كوثراني،وجيه،المسـيحيون مـن نظـام الملـل الـى الدولـه المحدثه،مجلـه تـاريخ العـــــــــــــــــــــــــرب والعالم،بيروت،العدد32،حزيران،1982 .**